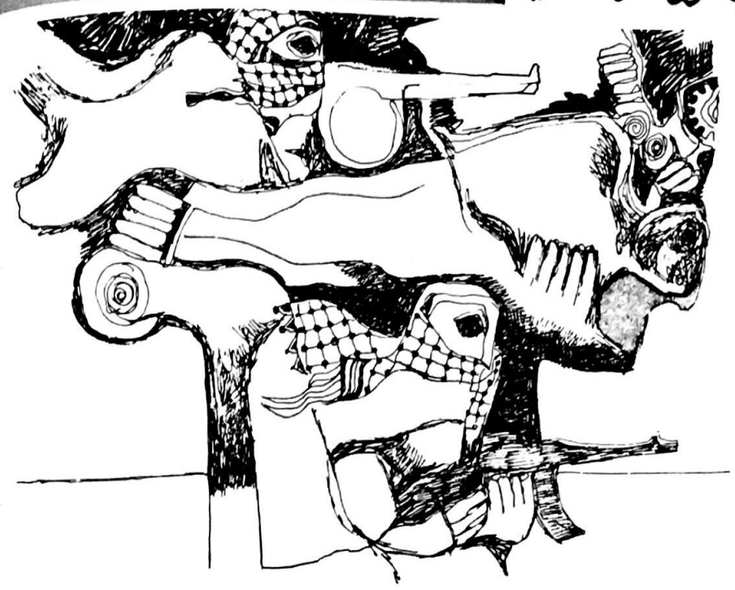

رسائل باردة كالموت *

بقلم : بسام أبو شريف

اصبح الموقف دقيقا ... او هكذا شعر الجميع . فقد استمر القصف الاعمى وتوالى سقوط العشرات والمئات من القتلى . وكم من جريح مات متأثرا بعدم وجود العلاج او المستشفى او حتى مكان في مستوصف .

ومع الصباح الباكر هزت القذائف مستوصف الاشرفيه حيث كنا . هب احمد الهدهد (وهو ضرير) من على فراشه يبحث عن مخرج مادا يديه امامه .

كان احمد ينام في غرفة خلفية حسبنا انها اقل الغرف تعرضا للقذائف . الا ان قديفتين اصابتا المبنى المجاور فتطايرت الشظايا نحو غرفة احمد في المستوصف . اصابت كل شيء الا احمد الذي هرع مادا يديه يتلمس السلامة في الغرف الاكثر تعرضا للقصف والقذائف والرصاص . وانهالت القذائف على المباني المجاوره واصابت احداها الغرفة التي كان يحتمي فيها ابو عمار .

كان من الواضح أن العدو اكتشف موقع الاذاعة المحلية ـ اذاعة الثورة ـ فراح يصلي المنطقة بقذائفه محاولا اسكات الصوت الذي كان يصحو مع القذائف ويام معها .

كان الصوت ينادي يوميا كي يهب الجميع للكفاح . ويبدأ يومه في : « يا صباح الكفاح ... يا صباح الثورة » فيهز المشاعر ويلهب في المقاتلين روح القتال والتصدي .

كان ذلك الصوت همزة الوصل الوحيدة بين معارك عمان والمعارك الدائرة في المناطق الاخرى من الاردن .

ومع بزوغه يشعر الجميع بعودة الوصل وبفك العزلة والاسار ومع غيابه يشعر الجميع بوحدة قاتلة وعزلة وكأن عمان اقتطعت من موقعها واغرقت في بحر الدم الاسود .

استمر قصف المنطقة طوال اليوم ... لكن الصوت استمر عاليا يشد الجماهير للمعركة ويبعد عنها تزييف اباطيل اذاعة النظام التي حاولت ان تحطم معنويات المقاتلين . فتارة تعلن استسلام الفدائيين وطورا تعلن انضمام اعداد كبيرة منهم لصفوف الجيش هكذا .

لكن اليوم كان يحمل لنا انباء سارة فقد انضم لصفوف المقاومة اعداد كبيرة من جنود وضباط الجيش ابوا ان يقاتلوا ضد الثورة والجماهير وابوا ان يطلقوا النار والقذائف على اهلهم ومواطنيهم . فارتفعت المعنويات واشتد القتال في منطقة الوحدات .

غير ان فرحتنا لم تكتمل فقد اكدت اذاعة عمان الخبر الذي كانت قد بثته قبل يومين عن اعتقال عدد من قيادات المقاومة . ولم تكتف بهذا بل بثت نداءاتهم التي تدعو « الى وقف القتال » . شعرنا بالغضب والالم . لكن تصميمنا زاد على القتال والاستمرار في الدفاع عن انفسنا وعن شعبنا امام الهجمة البربرية .

واستمر بعد الظهر التداول داخل الغرفة الصغيرة القريبة من المستوصف : ما العمل . استعرضت رسائل الرؤساء العرب وبرقياتهم ونداءاتهم . واستعرض الوضع العسكري .

كان القتال على اشده والقصف يهز اركان المدينة عندما بدأت رسائل الزعماء العرب تتوالى : باردة كالموت الذي دب في الآلاف ... وتوالت نداءاتهم وتمنياتهم لوقف « النزيف » .

ولقد ضحكنا عندما اعلنت اذاعة عمان ان امرا

* فصل من كتاب « اوراق ايلول » الذي سيصدر قريبا للرفيق بسام ابو شريف .

بوقف اطلاق النار قد صدر للجيش . فقد كان صوت المذيع يتيه بين اصوات القذائف التي انهالت علينا من كل اتجاه .

في هذه الاثناء كان مشاة النظام يحاولون اختراق الجبهة الجنوبية للوحدات للمرة الرابعة . لكن خط دفاع « ابو صالح » صمد امام الهجوم وكبد المشاة خسائر كبيرة واستولى المقاتلون على عدد كبير من البنادق وكميات هائلة من الذخائر .

دمرت القذائف اجزاء عديدة من مستشفى الاشرفية ولم تعد مولدات الكهرباء قادرة على العمل وخفت كميات البلازما والادوية واصبحت حالة الجرحى في خطر .

ابو صالح ـ جريح

في صبيحة اليوم التالي ساد جو من الرهبة الحزينة على عمان . فقد فرش الدخان والبارود مظلة

كبيرة فوق جبال المدينة فبدت مدينة اشباح خالية من البشر . لا يسمع فيها سوى صوت القذائف والرصاص وصراخ النساء والاطفال القادم من باحة جامع ابو درويش .

واضاف للرهبة رهبة غياب صوت الثورة ... غياب الصوت الذي كان يبث في العروق حماسا .

وارسلنا نسأل ما الخبر فقيل ان مولد الكهرباء بحاجة الى الوقود .

وانتشر الخبر بين المواطنين انتشار النار في الهشيم . وما هي الا دقائق حتى رأينا اعدادا من المواطنين القريبين من موقع الاذاعة يهرولون بحثا عن الوقود . وخلال وقت قصير عاد الصوت الاجش يخاطب جماهير الثورة .

« يا صباح الدوشكا والكاتيوشا » ودب الحماس في المقاتلين وفي مدفعية العدو .

قررنا انا و (ا.م) التوجه للجبهة الجنوبية للاجتماع برفاقنا هناك لبحث الموقف والاوضاع .

سرنا بين اكوام الحجارة وبين البنايات والمتاريس تحت صلي الرصاص والقذائف الى ان وصلنا المنطقة الخطيرة المواجهة « للقلعة » ... اي المنطقة الموازية لمستشفى الاشرفية .

واسرعنا نقطع الشارع العريض وسرنا جنبا الى جنب بخطوات مستعجلة بمحاذاة سور المستشفى .

وعلى مرمى النظر ، في الشارع العريض كانت الجثث ملقاة . نساء ورجالا واطفالا . وكأنها مدينة مهجورة خربها زلزال وتركها دون حياة .

لم يتوقف أزيز الرصاص من حولنا فقد كان ينبهنا في كل لحظة بألا نسمح لافكارنا بالتحليق في دنياها .

وفجأة سمعنا صوت مقاتل آت من الجانب الآخر للشارع يصرخ : « (ا.م) اركض نحونا بسرعة » !

وبدون تردد ركضنا نحو الجانب الآخر من الشارع . لقد كان الصوت أمرا لا يقبل الجدال .

وما كدنا نقطع الشارع حتى انهمر الرصاص على البقعة التي كنا نقف عندها قبل لحظة .

حيانا المقاتل وقال : « لقد نجوتما من موت محتم . ان المكان الذي كنتما فيه الآن يسمى الفخ . وهو معرض للقلعة وقنصها » .

شكرناه وشكرنا من معه ـ واكملنا مسيرتنا نحو « الوحدات » .

عند المدخل الشمالي للوحدات كان المقاتلون منهمكين بالحفر بالرغم من القذائف والرصاص . فقد جمعت على بعد امتار من بوابة مستشفى الاشرفية عشرات الجثث نهشها العفن . كانوا منهمكين في الحفر لدفن الجثث .

اكملنا سيرنا .

التقينا برفاقنا . بحثنا الاوضاع وعدنا ادراجنا نحو المستوصف .

جاء « احمد الهدهد » ليقول : لقد استمعت الى اشاراتهم واظن انهم سيعقدون اجتماعا في الكلية الصناعية في جبل الحسين . كان احمد يقضي اوقاته بالاستماع للاذاعات وملوجة خاصة تلتقط اشارات الجيش . واستطاع من خلال تتبعه (كما استطاع اخرون) ان يميز الرموز .

خرجنا للشرفة التي تطل على جبل الحسين وعلى الكلية الصناعية . كانت الآليات تتحرك من